تطبيق 10/ خطبة منذر بن سعيد البلوطي

منذر بن سعيد البلوطي

هو أبو الحكم المنذر بن سعيد البلوطي (273هـ-355هـ)، وُلد وعاش في قرطبة، وهو قاضٍ وخطيبٌ وشاعرٌ أندلسي، عاصر عهد الدولة الأموية في الأندلس، له كتب مؤلّفة في القرآن الكريم والسنة النبوية، جعله الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله على الصلاة والخطابة في المسجد الجامع في الزهراء. وقد كان شديد الصّلابة في أحكامه، منصفا في أحكامه، يميل إلى طرق الفضائل وينتهج نهج الصّالحين، على الرغم من أنّه كان قاضيا وخطيبا بارعا، لكنه نظم الشّعر أيضا وكان شعره يتصف بالرقة والعذوبة.

خطبة منذر بن سعيد البلوطي:

«أمّا بعد حمْدَ الله والثّناء عليه، والتّعداد لآلائه، والشّكر لنعمائه، والصّلاة والسّلام على محمد صفيّه وخاتم أنبيائه، فإنّ لكلّ حادثة مقاما، ولكلّ مقام مقالا، وليس بعد الحقّ إلاّ الضّلالُ، وإنّي قد قمتُ في مقام كريم، بين يدي ملكٍ عظيمٍ، فأصْغوا إليّ معشرَ الملأ، بأسماعكم، والْقفوا عنّي بأفئدتكم، إنّ من الحقّ أن يُقال للْمحقّ صدَقْتَ، وللمطل كذبتَ، وإنّ الجليل تعالى في سمائه، وتقدّسَ بصفاته وأسمائه، أمرَ كليمَه موسى صلى الله عليه وعلى نبيّنا وعلى جميع أنبيائه، أنْ يُذكّرَ قومَه بأيّام الله جلّ وعزّ عندهم، وفيه وفي رسول الله أسوةٌ، حسنة، وإنّي أذكّركم بأيّام الله عندكم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين الّتي لمّت شعثكم، وآمنتْ سربكم، ورفعتْ فِرقكم، بعد أن كنتم قليلا فكثّرُكم، ومستضعفين فقوّاكم ومُستذَلين فنصركم ولاّه الله رعايتكم...»

شرح المفردات

لآلائه: الآلاء: النّعم

الضّلال: الباطل

الملأ: الجماعة

أسوة: قدوة

لمّت شعثكم: الشّعث: ما تفرّق من الأمور، أي ضمّ جمعكم.

تحليل الخطبة:

يعدّ المنذر بن سعيد البلوطي واحدا من أهم خطباء الأندلس، وقد كان جيّد الفهم عالما يتصف بالثّبات في الحقّ لا يخشى في الله لومة لائم، عُرف بفضله وورعه وعلمه وحلمه ورجاحة عقله، وقد كان بليغا موجزا في تراكيب جمله وعباراته الّتي تتألف منه خطبه.

لقد بدأ خطبته بحمد الله والثّناء عليه، ويذكر آياته ونعمه ، ويشكر الله عليها، ثم ينتقل إلى الصّلاة على النّبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وهذه المقدّمة في الخطبة هي ما درج عليه الخطباء المسلمون؛ إذ تبدأ الخطبة بحمد الله والصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يذكّر المخاطبين بأنّ لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقالا يناسبه، مذكّرا بالحق وتجنب الباطل.

ثم بدأ بوصف المكان الّذي هو فيه، فمدح من هو في حضرته، ووصفه بالملك العظيم، وطلب من سامعيه الإصغاء، فالإصغاء فن قد لا يجيده الكثيرون؛ إذ إنّ الإنصات يعني فهم كلام المتحدّث والإفادة ممّا يقوله، وفهم المراد منه، وإنّ مقاطعة المتكلم في أثناء الحديث قد تفضي إلى انقطاع فكرة المتحدّث، وهو لا يوصي سامعيه بالإصغاء والسّماع فقط، بل يوصيهم بتدبر ما يقوله وفهمه.

وإنّ الإصغاء يبيّن الحق من الباطل، وذكر البلوطي في خطبته أنّ الله سبحانه وتعالى قد أمر النبي موسى وسائر أنبيائه أن يذكّروا أقوامهم بأيّام الله، وأنّ في موسى وسائر الأنبياء أسوة حسنة ، ولذا فهو يذكرهم بأيّام الله عندهم ويذكرهم بالخليفة الّذي جمع شملهم بعد تفرقهم وحمايته لهم، من بعد فرقتهم وضعفهم، بعد أن كانوا ضعفاء فقواهم وكل ذلك بفضل رعاية الله وحفظه.

وهكذا تمضي الخطبة في المدح والثناء على الخليفة وما قدّمه لهم.

ونلاحظ على خطبة البلوطي جزالة اللّفظ ووضوحه، وقصر العبارات ووضوحها ودقتها وتعبيرها عن المراد من القول، وقد بدأ البلوطي على نهج خطب المسلمين تبدأ بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج بعرض موضوعه.

كذلك نلاحظ الفنون البلاغية الّتي وظّفها البلوطي في خطبته كالسجع مثل : لكلّ مقام مقال وليس بعد الحق إلا الضلال

كذلك استعمال الطباق في قوله: يُقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت، وغيرها من الأساليب البلاغية الّتي تضفي على الخطبة جمالها البلاغي.